

لم تكن أنتِ



بقلم: بسمة ياسر

لم تكن أنتِ ...
"قصة قصيرة"

قصة لم تكن أنتِ

للكاتبة: بسمة ياسر

تصميم الغلاف : سيليا عمرو

تصنيف الرواية : جريمة. إجتماعي. حزين. دراما

السرد : لغة عربية فصحي

سنة النشر : 2024

حقوق النشر محفوظة للكاتب ©

المقدمة

عندما تكون سجينًا لدى ماضيك ستبقى مُتألّمًا وللأبد بقيَ سؤال كيف أتخلص من ذكرياتِ باتت تُورقني؟
هو سؤالٌ متداول ولكن في النهاية لا توجد له إجابة هل حقًا يمكن أن تتخلص من ماضيك؟
ولكن هل سيكون سعيدًا إذا عشتَ بدون ماضي؟
ماذا تفعل إذا حين اكتشافك أن ماضيك ليس حقيقيًا بل هو مجرد حقيقة مزيفة؟
ما رد فعلك حينها؟

لقد عاشت حياتها بأكملها تتألم من أحداث الماضي عندما وجدت نفسها طرفًا في حادثة ستؤدي بها للهلاك ويا ليتها تعلم متى حدث ذلك ولكن حين تستيقظ وتجد نفسك طرفًا في جريمة قتل وزادت الطين بلاءً عند اكتشافك أنك القاتل ماذا ستفعل حينها؟

تجلس على المقعد وتأرجح يمينًا ويسارًا
بملا بينما الأخرى كانت تجلس على
أريكة صغيرة وتستند بظهرها على الحائط
ونظرها معلق بالنافذة شاردة بشكل غير
طبيعي حتى بدأت دموعها بالسقوط
وصوت شهقاتها يعلو ببطء حتى نظرت
الأخرى والتي كانت تُدعى "ضحى" نحوها
وسألت بتعجب :

_ ما بكِ سارة؟

لم تجب الأخرى وظلت تطل من النافذة
ولم تتوقف عن البكاء مما جعل الأخرى
تنهض من مكانها وتجلس على الأريكة

بجوارها وتحتضنها وتتحسس على
شعرها بحنان ثم أعادت سؤالها :

_ ما بكِ سارة؟ لم تبكين عزيزتي؟

تحدثت سارة من بين شهقاتها أخيرًا
وقالت :

_ أتعرفين ذلك الشعور عندما يطارذك
الماضي في كل مكان عندما تريد أن
تنسى شيئًا نغص عليك حياتك رغم أنكِ
لم تكني تقصدين أتعرفين شعور أن
يقتلكِ ضميرك كل يوم ولا تسطعين
إرضائه أتعرفين شعور الندم بعد فوات

الأوان ذلك الشعور الذي يسرق منك
سعادتك ويسرق كل لحظة جميلة
تعيشها فقط لأجل أنني لم أستطع
إنقاذها

احتل اليأس ملامح "ضحى" فقد علمت
السبب في تلك الحالة التي تعانيها سارة
ثم أردفت بصوت متحشرج :

_ألا تزالين توبخين نفسك على تلك
الحادثة ألم تنسها بعد؟ .

خرجت سارة من حضنها وابتسمت بألم
وأردفت :

_ كيف لي أن أنسى؟

نظرت لها الأخرى بحزن لم تكن تريد أن
تقلب في الماضي مرة أخرى يكفي أنه لا
يدعها طوال الليل تلك الذكريات التي
تؤرق منامها كل ليلة.

أبعدت سارة نظرها عنها وهمت بالتحرك
من مكانها ووقفت أمام النافذة وقالت
:والبكاء قد تمكن منها

تريدين مني أن أنسى أنها قُتلت أمام _
...أعيننا هل أنسى أنني أنا من ق

لم تسطع أن تكمل آخر حديثها وعادت
بنظرها لـ "ضحى" ثم صرخت بقوة
وانهارت في بكائها ثم أسندت رأسها
للحائط وقالت:

أنسى أنني قتلته بيدي هاتين _

لم تعطها الأخرى جوابًا فكم هذا الحديث
يؤلمها تريد أن تبوح بما في داخلها لقد
حطم الكتمان كل ذرة في قلبها حول قلبها
لفتات تبقت نتيجة ذلك الحطام،
نهضت من مكانها متنقلة في أرجاء الغرفة
لتتحاشي النظر لأختها ولكن ذلك

الصراخ الذي صرخته الأخرى جعلها
تتوقف مكانها وتنظر لها وتقول صارخةً
:بصوت مقهور

يكفي يكفي توقي أرجوكي لم تكن أنتِ _

بينما "سارة" التي تعجبت تلك الكلمات
وخافت على أختها الكبرى عندما رأت
تلك الحالة التي هي بها حتى تحركت
:ببطئ اتجاهها وقالت بتساؤل

لم تكن أنا كيف؟ _

انهارت قوى "ضحى" وسقطت على
ركبتها ووضعت رأسها بين كفيها وقالت
بصوت بالكاد يكون مسموع وهي تتذكر
ذلك اليوم المشئوم

لم تكن أنتِ.... كانت.. أنا _

صدمة تلبست الأخرى جعل جسدها
يرتعش وقلبها ينبض بقوة ثم همست
:مُتسائلة

كيف؟ _

صممت الأخرى ولم تجب مما جعل _
الأخرى تتحدث بهلع غير مُدركة بما
:لفظت به الأخرى

_ لقد قتلته بيدي هل نسيتي المزهرية؟
هل نسيتي عندما اصطدمتُ به بدون
قصد؟ أنتِ تمزحين أليس كذلك .

_ لَمَ الصمت لَمَ تتركيني أتعذبُ هكذا أَلَمَ
تحزني لحالي كل تلك السنوات؟ لَمَ
تركنتي أتعذبُ من أَلَمَ الماضي إن لم يكن
حقيقياً؟ كيف هانت عليكي؟ هل
استطعتي أن تنسي ذلك الماضي اللعين
وأنا كنتُ أعيش فيه كل ليلة وأنتِ تتركيني
أبكي حتى جفت دموعُ عيني ودائمًا كنتِ
فقط تحثيني على النسيان، كيف بقيتي
صامتةً كل هذا؟ أجيبيني.

بدأت بالصراخ والبكاء تهز رأسها بالرفض
تحاول أن تنتزع من رأسها تلك الأفكار

القاتلة لا تريد أن تتذكر ولكن صرخات
الأخرى جعلتها تصرخ باكيةً:

_ يكفي... يكفي... يكفي.. توقي أرجوكِ.

تحركت "سارة" اتجاه "ضحى" وقامت
بالجلوس جوارها ثم قالت بصوتٍ دافئ:

_ أرجوكِ أخبريني الحقيقة.

صوتها الدافئ واقتربها المطمئن؟ و
لمساتها الحنونة جعلت "ضحى"
تستسلم وتردف بشرود بعد أن أدارت

نظرها للجهة الأخرى في ذلك الجانب
المظلم من الغرفة:

_ أنا من قتلته في تلك الليلة رأيتُه يقتلها
بخنجره رأيتُه يقتلها ذلك اللعين حينها
بقيتُ مستيقظة بعد خلودك للنوم أنتِ
وهند وفي منتصف الليل قمتُ للذهاب
إلى المرحاض وعند عودتي للغرفة
سمعتُ صوتًا قادم من غرفة هند فقلتُ
حينها وذهبتُ لأطمئن عليها وكلما كنت
اقترب كانت قدماي ترتعشان لا أعلم
لماذا ولكن عندما فتحتُ الباب وجدته
يقف وبيده سكين مكسوةٌ بالدماء ورأيتُ

قطرات دمائها تتساقط من على أنامله
والأشياء التي حاول سرقتها كانت مبعثرة
حول قدمه عندما نظر نحوي رأيتُه
يهزول ليمسكنا فقمْتُ بالركض نحو
غرفتكِ ولكنه كان أسرع مِنِّي فقد تعرقلت
قدمي في حافة السجادة لأجده يصوب
سكينه نحوي ليقتلني لأنني رأيتُه ولكن
حينها لا أعلم كيف فعلت ذلك فقد
وجدتُ أنني عرقلته وأسقطه أرضًا بلمح
البصر حملتُ السكين وضربتُه بجانبه
حتى نزف الكثير من الدماء ثم طعنته
طعنة أخرى كان لا زال حيًا وتحرك من
مكانه فركضت نحو غرفتكِ حينها

فوجدتكِ تفتحين الباب فركضتُ نحوكِ
واختبئتُ خلفك لم أكن أختبئُ خوفًا كما
فهمتي ولكن... أنا... من.. قذفكِ نحوه
فدفعته أنتِ ليسقط على حافة الطاولة
كنتُ أعلم أنكِ لن تسطيعي السكوت
وأن لا تخبري أحدًا وأعرف أنكِ لم
تتحلمي ذلك المشهد الذي كانت فيه
هند فجئتُ من خلفك وضربتُ رأسك
بالمزهريّة فسقطِ فاقدة الوعي ثمّ
وضعتُ السكين بيدك وملئتُ كفيكي
بالدماء التي كانت على السكين وأيقظتكِ
واعتمدتُ أن أتظاهر بفقدان الوعي مثلك
بعد أن حملتكِ لغرفة هند وعندها

أقنعتك أنك من قتلتيه وكنّت في حالة
من الصدمة هند حملنا الجثتين ودفنهما
تحت النافذة قبيل الفجر ولحسن الحظ
لم يرنا أحد ومنذ ذلك الوقت وأن أخفي
عليكي الحقيقة.

أصيبت "سارة" بحالة من الصدمة التي
جعلتها لا تستطيع الحديث فقط تنظر لـ
"ضحى" ثمّ بعد العديد من الدقائق في
صمت تحدثت "سارة" بحزن:

_ كيف جائتكِ القوة لقتله؟.

_ لقد قتل أختي هل نسيتي لقد قتلها
دون رحمة كان هدفه السرقة وهي رآته
فقتلها دون أي شفقة ولو لم أفعل ذلك
لكنتُ الآن أرافقها.

قالت ذلك بصراخ جنوني، عقببت الأخرى
مستنكرة:

_ لمَ لم تدعيني أخبر الشرطة أو أخبر
أحدًا يساعدنا؟.

_ كان سيتم وضعنا بالسجن ولن يصدقنا
أحد.

_ كاذبة بالتأكيد سنجد من يصدقنا.

جملة قالتها "سارة" بعتاب شديد،
لتبتسم الأخرى بندم ثم تقول:

_ لم يعد الأمر مجديًا لقد مرّ على تلك
الحادثة ثلاث سنوات ونحن تركنا منزلنا
القديم وتلك الحقيقة التي أخفيها عنك
طيلة هذه السنوات مفادها أنها لم تكن
أنتِ... كانت أنا.

قالت "سارة" بأسفٍ وقد لمعت عيناها
بالدموع:

_ أنا آسفة.

سألتها "ضحى" بتعجب:

_ على ماذا؟.

كادت "سارة" تجيبيها ولكن سبقها دخول رجال الشرطة للغرفة.

لتهمس "ضحى" لـ "سارة" بسخرية:

_ يبدووا أنهم موجودون من البداية.

_ أنا حقًا آسفة.... أختي ولكن مهما طال الزمان يجب أن تنكشف الحقيقة لقد

وجدوا تلك الجثث موجودة أسفل نافذة منزلنا القديم ودلهم عليّ أحد جيراننا القُدّامى ولم أستطع أن أكذب ولكن تلك الحقائق المُزيفة لم تكن مقنعة وأرادوا استجوابكٍ واتفق معي الضابط على أن أفعل هذا ولم أستطع أن أرفض كنتُ مجبرة سامحيني.

كانت تقول تلك الكلمات بهمس في أذن "ضحى" قبل أن تنهض "ضحى" مع الضابط وقام بوضع الأصفاد بيديها وتحركت أمامه مُنكّسة الرأس وعلى ثغرها ابتسامة ندم بينما "سارة" كانت تسير

بجانبيها وهي تبكي بشدة لا تعلم ما الذي فعلته لقد سلمت أختها بيدها لحبل المشنقة يالها من بلهاء غبية ككتاهما الآن نادمتان ولكن لا ينفع الندم بعد فوات الأون.

لقد تم وضع "ضحى" بالسجن لمدة أسبوعان حتى تحويل أوراقها إلى النيابة بعد شهر من ذلك اليوم المشئوم بينما "سارة" كانت لا تعي بما حولها وأصبح وجهها شاحبًا فهي ترفض الأطعمة وترفض المشروبات وكل شيء كانت تعتنى بها جارتها الأربعينية قبل أن تسوء حالتها

وتذهب للمشفى وتم وضعها تحت عناية
مشددة فقد أصيبت بنوبة اكتئاب حادة.

بعد مرور شهر..

تقف هي بجوار ثلاثة مساجين خلف القفص الحديدي ترتدي عباءة بيضاء اللون وحجاب أبيض تعلق نظرها بـ "سارة" التي لم تزح ناظرها عنها هي الأخرى تتحدثان من خلال تلك النظرات تتقلب نظراتهم ما بين ندم وعتاب وحنين واشتياق إلى أن دلف للقاعة ثلاثة رجال يرتدون بدلة رسمية ويعلوها ذلك الرداء الأسود ويبدوا أنهم قضاة المحكمة لينطق الحاجب بقوة:

_ محكمة.

ليقف الجميع حتى يجلس القضاة
ويتحدث القاضي الذي يجلس في
المنتصف:

_ تفضلوا بالجلوس.

ليجلس الجميع ويبدأ محامي الدفاع
بعرض أوراقه أمام القاضي ويقف في
مكانه المخصص ويقول:

_ سيدي القاضي حضرات السادة
المستشارين إن المتهم المائل أمام

عدالتكم كانت جريمته هي القتل ولكن سيدي لقد سجل وكيل النائب العام اعتراف موكلتي بأنها القاتلة ولكن بعد شرح القصة اكتُشِفَ أنه ليس قتلاً متعمداً. لقد كان دفاعاً عن النفس سيدي القاضي.

_ هل من الممكن أن أعترض سيادة القاضي.

كانت تلك جملة ألقاها وكيل النائب العام ليرد القاضي بإنصت:

_ تفضل ما اعتراضك.

_ لَمَ لم تخبر المتهمه بتلك الحادثة في ذلك الوقت وقامت بإخفاء الحقيقة حتى عن شقيقتها الصغرى؟.

_ ما ردك أيها المدعي عن المتهمه.

كانت تلك كلمات القاضي التي وجهها لمحامي الدفاع والذي بدوره أجاب بثقة:

_ الخوف سيدي القاضي الخوف يجعل الإنسان يرتكب العديد من المصائب التي لا دخل له بها فقط لأنه خائف موكلتي رفضت الإقرار بالحقيقة خوفاً من الأَّ يصدقها أحد لقد كانت ترى الموتُ أمامها

لا محالة ولكن خوفها لم يسمح لها
بفرصة لتفكر بعقلانية ولو لدقائق
فعندما يكون الموت يحيط بك سيدي
لن تفكر بشيء غير الهرب منه جميعنا
نحب الحياة رغم أنها قاسية ولذلك قد
نقع بالكثير من المواقف المهلكة
والمصائب المعقدة بسبب ذلك
بالإضافة إلى أن المجني عليه كان هدفه
سرقة المنزل وكان يحمل سلاحًا حادًا
وينوي قتل موكلتي بعد قتله الضحية
الأولى والتي كانت أخت المتهم سيدي
وبالتالي لو كان المجني عليه بيننا كان
سيتم الحكم عليه بالإعدام.

_ لقد تم رفض اعتراضكم.

قالها القاضي لوكيل النائب العام ثمّ نظر
للمحامي واسترسل:

_ هل ستضيف أقوالاً أخرى؟.

_ شكرًا سيادة القاضي لا أملك أقوالاً
أخرى فقط أطلب عدل سيادتكم.

صمتٌ يعمُّ المكان لا أحد ينطق ببنت
شفة فقط القاضي يتشاور مع
المستشاريين وما هي إلا دقائق ونطق

القاضي بالحكم قائلاً بجديّة وملامح
جامدة:

_ حكمت المحكمة حضورياً على المتهمه
ضحى كامل السويفي بالسجن لمدة
خمس سنوات مصحوباً بالعمل والأشغال
الشاقة رفعت الجلسة.

ما أن لفظ القاضي بتلك الكلمات حتى
وجدت "سارة" نفسها تبتسم تلقائياً
وتنهض بعد خروج القاضي ومستشاريه
من المحكمة متجهة نحو القفص
لتمسك بيدي "ضحى" وتحتضنها بخفة
وتقبلهما بسعادة وتردف بسرور:

_ الحمد لله ظننتُ أنني سأبقى وحيدة
للأبد أرجوكِ سامحيني حبيبتي.

لتبادلها "ضحى" الابتسامة وتردف
بهدهوء:

_ الحمد لله يا حبيبتي سامحتكِ ولا
يمكنني أن أبغضَ عليكِ أبدًا ويكفيكِ
بكاءٌ صغيرتي.

قالت "سارة" بشهقاتٍ متفاوتة بعد
توقفها عن البكاء:

_ سأنتظرك.

سحبت الشرطة "ضحى" بعدها للدخل
وهي ظلت تعلق عيونها بعيون "سارة"
ثمّ صاحت قبل أن تختفي عن ناظريها:

_ أحبكِ أختي.

بعد مرور خمس سنوات....

تقف "سارة" أمام السجن بانتظار
"ضحى" حتى خرجت هي من البوابة
تهرول نحوها مسرعة وتبادر بضمها إلى
أحضانها لتبتسم "ضحى" وتبادلها ضمتها
وتقبل جبهتها وتقول بحنين:

_ اشتقتُ لكِ كثيرًا يا سارة.

_ وأنا أيضًا لقد أكل الاشتياق فؤادي.

نظرتا لبعضهما وابتسما الاثنتان لتتطرق
"ضحى" مازحةً:

_ هيا لنذهب من أمام هذا المكان أم أنكِ
تنتظرين أحدًا هنا؟.

أجابتها "سارة" باسمه:

_ لن أخطو هذا المكان مجددًا بعد اليوم
لقد بتُّ أبغضه بشدة.

لحظاتٍ وغادر الاثنتان المكان وعادتا
لمنزلهما وعادت حياتهم طبيعية من
جديد بعد أن قررتا أنهما ستنسيان

الماضي ولكن بالطبع لا يمكن نسيان
الماضي ولكن يمكن الإستفادة منه وذلك
بمواجهته وليس الهرب منه.

كن قويًا واصنع حاضرًا جميلًا ولونه بتلك
الألوان التي تعلمت دمجها من ماضيك
لتعطي لوحةً مميزة.

تمت بحمد الله

گ : بسمة ياسر